ترجمة الزوراء/ صباح سالم

اميليا سميث

كانت اول الذكريات التي يمر بها بالفراجي حول الاشكال السوداء في طفولته في العراق عندما كانت العائلة تحيي ذكرى يوم عاشوراء ويرتدي كل من الرجال والنساء الملابس السوداء حزناً على وفاة الامام الحسين. ويتذكر كيف كانت والدته تغلي الصبغ في الماء من اجل صبغ الملابس باللون الاسود قبل ان تعلقهم على حبل الغسيل. وعندما تشرق الشمس وتغرب بعد ذلك يتغير الضوء وستبدو العباءة النسائية مثل شكل انسان برأس وذراعين.

وبمرور الوقت وجدت هذه الذكريات طريقها الى العديد من رسومات الفراجي واعماله الفنية واصبح الشكل الاسود العملاق العلامة البارزة لمجموعته الفنية: "هذا الشكل الاسود العملاق وضع ختماً عظيماً في ذاكرتي. وانتم ترون ان الامر ليس الان فقط، ولكن منذ بداية اعمالي الفنية خاصة رسومي الاولى على الخشب؛ وكان هذا الشكل الاسود موجودا هناك دائماً. ولا اعرف ما هو الوصف الذي يمكن ان امنحه لهذا الشكل ولكنه انا او انت. واذا ما حاولت ان اتخيل شكل له وجود، فانه هذا الشكل من اشكال الوجود".
في بعض الاحيان تكون الشخصية وحيدة ومنعزلة وتأخذ مكان المركز في اللوحات والتراكيب، وفي لوحات اخرى يبدو انها متعددة الاشكال. وغالباً ما توضع هذه الاشكال على سطح مستو بخلفية بيضاء او على صفحة مليئة بالخطوط العربية. وباشكالها المتعددة هذه، واعمال اخرى التي يمكن ان تجدها في كتاب صادق كويش الفراجي، صدر عن دار شيلت للطباعة ويغطي فيها 30 عاماً من عمله الفني منذ ان كان طالباً الى يومنا هذا. ودرس الفراجي في معهد الفنون الجميلة في بغداد في بداية الثمانينيات بعد وقت قصير من تسلم صدام حسين للسلطة. وحاول صدام ان يجعل جميع الفنون والاعمال الثقافية في خدمة حملته الدعائية الخاصة بنظامه تماماً مثلما فعل ستالين وهتلر، حسب ما يقوله الفراجي. ولكن الفنانين لديهم القوة والقدرة على اللعب بالافكار والمفاهيم طالما انها ليست واضحة بما فيه الكفاية للسلطات لكي تفهم بأنها احتجاج ضد المعاناة او انها اعمال تدافع عن الحرية. مضيفاً "فالقادة الديكتاتوريون اغبياء. وليس بالضرورة انهم يتمكنون

من قراءة ما بين الاسطر".
ومع ذلك، فانهم في بعض الاحيان يفعلون ذلك. ويقول الفراجي انه رسم المئات من اللوحات والرسوم في العراق التي لم يتمكن من عرضها على العامة وبدلاً عن ذلك فضل اخفائها. وفي معرض منفرد في 1989 خطط ليعرض سيرة ذاتية لرأس، سلسلة من المنحوتات التي يعمل فيها تصاميماً خاصة ليسرد فيها قصة الرأس الذي يطفو على سطح الماء. وفي اسفل الصور توجد كتابات تقرأ العبارات التالية "بدأ التفكير" و"ويفكر ملياً بالرحيل". "ولم اتمكن من عرض ذلك الكتاب في المعرض"، ويقول "لانه كان من الواضح انه يتحدث عن الحرية".
وجاءت حرب ايران ولم يسمح النظام للعديد من الناس بمغادرة البلد. وفي خضم سنوات الحرب الثماني، اصبح الفن والثقافة حملة دعائية للحرب. ويقول الفراجي، عندما كنا طلاباً للفنون، لم تكن هناك فرصة لرؤية الفن خارج العراق وكانت هناك قناتان تلفزيونيتان فقط ولم يكن هناك بريد الكتروني ولا انترنت. والطريقة الوحيدة لاستكشاف الاعمال الفنية من بقية انحاء العالم كان من خلال المجلات او الكتب.
واكتشف الفراجي من خلال الكتب الرسم على الخشب، ورسوم ولوحات الفنانيين التعبيريين الالمان واعمال كبار الفنانين من امثل ادوارد مانش واوسكار كوكاشكا واميل نولدا الذين اصبحوا مدر الهام له. "لقد علموني الكثير حول الفن اكثر من اساتذتي في الاكاديمية. وتعلمت معنى الفن من خلال هذه الاعمال الفنية العظيمة. فهم اساتذتي". وعندما كان صبياً مراهقاً لم يقرأ الفراجي الروايات وحسب بل قرأ كتب التأريخ والاساطير والشعر ايضاً. وكان منجذباً نحو الكاتب الوجودي نيتشه وسارتر والذي يقول عنه انه أثر بأعماله كثيراً. وجزء آخر من الماضي والذي احتل مساحة واسعة في اعمال الفراجي هو مدينة الصدر، المدينة التي نشأ وترعرع فيها، والتي تعرف الآن بأنها اكثر المناطق فقراً في بغداد. وقوله عنها "عندما كنت طفلاً كنت دائماً أحلم في الحصول على دراجة هوائية صغيرة بثلاث عجلات. ولكني لم اتمكن قط من الحصول عليها لان ابي لم يتمكن من شرائها. ولكن كان لدى والدي راتباً يمكنه من شراء احذية رخيصة وملابس لي وكنا نستطيع ان نأكل على الاقل. وكنا قادرين على العيش". وكانت مدينة الصدر في السبعينيات تعرف باسم مدينة الثورة ويقول لي الفراجي ان في تلك الفترة كانت هناك قصة جديدة تنكشف في كل يوم وكان العيش يشبه الى حد كبير العيش في رواية واقعية ساحرة: "ان العيش في مدينة الصدر يعيش ان تعيش في داخل رواية. وهي ليست بالمدينة الاعتيادية؛ وهي بالتأكيد ليست بالمدينة الاعتيادية. واذا كنت تريد ان تفهم المدينة اقرأ روايات غابرييل غارسيا ماركيز. فهي مليئة حقاً بالسحر وغزارة القصص فيها. وكفنان ادين كل ما وصلت اليه الى هذه المدينة؛ وجميع رؤياي، ولجميع افكاري". مضيفاً: "لا اعلم اذا كانت المدينة نفسها باقية على حالها الآن. فالاشياء تتغير. ولكنها مدينة الثورة". ويعيش الفراجي ويعمل الآن في هولندا.وفي نهاية المطاف فان عمل الفنان صادق كويش الفراجي الجديد يحمل عنوان ولد في يوم 9 نيسان في اشارة الى اليوم الذي سقط فيه تمثال صدام من قبل الجيش الاميركي في ساحة الفردوس اثناء حرب العراق، وهو الفعل الذي اشار الى نهاية نظام الديكتاتور. وعبر 11 شاشة تجد اجزاءً من جسد الفنان مع صور بالعلم الاميركي وصدام وصور اخرى من العراق وهي معروضة امامه.وكجزء من التراكيب نفسها، التي تعرض في متحف ستيدليجك في هولندا، باسم الحرية يعرض تعليقاً بارعاً عن الحرب والتدخل الاجنبي. وتقدم اعماله اشكالاً سوداء ملقية على الارض واربعة وحوش فوقها وتفتح كل منها فكيها. ويقول الفراجي "تمثل هذه اللوحة سقوط بغداد"، وهو التفسير الذي يكون على العكس من العنوان الذي تشير اليه اللوحة "ان هذه اللوحة لا تشير الى الحرية. ولكنها حول المصيبة التي حلت بالعراق". ويقول الفراجي ان الشكل يمثل العراق والوحوش الاربعة تمثل الشمال والغرب والشرق والجنوب، والتي جاءت معا لتقتل العراق. ويقول الفراجي "ليست اميركا وحدها من فعل هذا بالعراق. لان باقي انحاء العالم كانت صامتة ازاءه".
وكان هناك في وقت من الاوقات اياماً جميلة في العراق. ففي العودة الى ايام السبعينيات لم يكن اي شخص في البلد امياً، حسب ما يوضحه لنا الفراجي على الرغم من وجود العديد من القرى في الشرق الاوسط لا تملك حتى مدارس. وعندما تخرج الناس من الجامعة بدأوا ببناء المدن والبنى التحتية في انحاء البلد كافة. وبدأ التراجع في هذه الاعمال مع الحرب العراقية الايرانية التي استمرت في معظم سنوات الثمانينيات، وتبعها غزو صدام للكويت والذي جاء بالحصار الاقتصادي الثقيل والذي لم يسبق له مثيل في التأريخ. ومن ثم جاء غزو 2003. ويقول "اما الان فالدمار اصبح عميقاً. فلديك اجيال من دون اي نوع من التعليم، واجيال من الكراهية والمرض اللانهاية له. ونحتاج لاجيال لنصبح اصحاء من جديد. والازمة تكبر وتكبر". وفي وقت مبكر من هذا العام، سجلت عناصر داعش افرادها وهم يحطمون التماثيل القديمة في الموصل، في شمالي العراق. وتعد هذه الاثار رموزاً لبلاد وادي الرافدين القديمة ويعود تأريخها الى القرن التاسع. وكان داعش قد حرق في وقت سابق المخطوطات القديمة في مكتبة الموصل. ويقول الفراجي وهو يتذكر السفرات المدرسية لزيارة المنحوتات والتماثيل والاثار في الموصل عندما كان شاباً: "انها جزء مني لذلك عندما رأيتها تتهدم كان الامر صعب عليّ". ومنذ ان ترك الفراجي العراق فان المرة الوحيدة التي عاد فيها اليه كانت في 2009 بعد وفاة والده. "اعرف لم اتمكن من رؤية المدينة.
ولم اتمكن من رؤية بغداد. واردت ان ارى بغداد ولكن بغداد لم تكن موجودة كما اعرفها". وستعرض اعمال الفنان العراقي المغترب صادق كويش الفراجي في قاعة الايام في لندن. وفي 23 تموز سيلقي كلمة بمناسبة عمله الجديد مركب علي ويطلق كتابه الجديد في القاعة الفنية كجزء من احتفالية الشباك.